المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

المُقرَّر الدِّراسي

توحيد (١) ، عقد ٣٠١٥

يُقدَّم ضمن

برنامج بكالوريوس كليَّة الشريعة

المستوى الأوَّل

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُهُ، ونَستعِينُهُ، ونَستغفِرُهُ، ونعُوذُ بالله مِن شُرورِ أنفُسِنَا، وسَيِّئاتِ أَعمالنَا. مَنْ يَهدِهِ اللهُ فلَا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلِل فَلا هَاديَ لهُ. وأشهَدُ أَن لا إلَهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لهُ، وأَشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا ﷺ عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

« أَمَّا بَعدُ، فَإِنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرُ الهَدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ »[1]، « وكُلُّ ضَلالةٍ في النَّارِ »[2].

ثمَّ أمَّا بعدُ: فإنَّ اللهَ ﷻ بَعَثَ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ بالهُدى ودين الحقِّ بين يَدَي السَّاعةِ بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا مُنيرًا. أرسله ربُّه ﷻ على حين فَتْرةٍ من الرُّسل، ودُرُوسٍ من الكتب، وقِلَّةٍ من العلم؛ حين حُرِّف الكَلِمُ، وبُدِّلَتِ الشرائعُ، واستندَ كُلُّ قومٍ إلى أهوائهم وآرائهم؛ ليُخرجَ النَّاس من الظلماتِ إلى النُّور. فأشرقتِ الأرضُ برسالته ﷺ بعد ظُلمتها، وتألَّفت بها القلوبُ بعد شتاتها وتفرُّقِها، وفتحَ اللهُ بها أعينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلوبًا غُلْفًا، وفُرِّق بين الحقِّ والباطل، والهُدى والضَّلال، والرَّشاد والغيِّ، والصِّدق والكَذب، والمعروف والمنكر، وطريقِ أولياء الله السُّعداء، وأعداءِ الله الأشقياء. ولم يمت رَسُولُنا ﷺ حتَّى بيَّنَ للنَّاس جميعَ ما يحتاجون إليه، فتركهم على مثلِ البيضاء؛ ليلُها كنهارِها، لا يَزيغُ بعدَه عنها إلاَّ هالكٌ.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٢) هذه الزيادة أخرجها أبو بكر الفريابي، في القدر (ص ٢٨٤). وابن خزيمة في الصحيح، (١٤٣/٣) (ح ١٧٨٥). والآجريُّ في الشريعة، (٣٩٨/١) (ح ٨٤٤). والبيهقي في السنن الكبرى، في صلاة العيدين (ح ١٥٨٩)، وفي الأسماء والصفات، (٢٠٢/١) (ح ١٣٧). وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٨٩/٣). وابن بطَّة في الإبانة الكبرى (٨٥/٤) (ح ١٤٩١)، وغيرُهُم. وصحَّحَها الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

وقد اعتصمَ أصحابُهُ الكرامُ ﷺ مِنْ بعده بكتاب ربِّهم ﷻ، وسُنَّة نبيِّهم ﷺ، ودَعوا النَّاس إليهما بالحكمة والموعظة الحسنة. ومن بعدهم قامَ علماءُ أمَّته ﷺ بمهمَّة الدعوة إلى الله ﷻ خيرَ قيام؛ فوضَّحوا للنَّاس أمورَ دينهم، وكان أَجَلَّ ما وضَّحوه، وأعظمَ ما بيَّنُوه: «العقيدةُ»، الَّتي أَوْلوها القَدْرَ الأكبرَ، والنَّصيبَ الأوفرَ من جهودهم، وجهادهم، وتعليمهم، وتأليفهم.

وهذا المُقرَّر الَّذي أضعه بين يدَي الطلاب: مقرَّرٌ يُعنى بدراسة مبادئ العقيدة، ودراسة ما يتعلَّق بأنواع التوحيد، وما يناقضها، ومناقشتها.

والهدفُ منه: أن يتعرف الطالبُ على مقدِّمات في علم العقيدة، وما يتعلَّق بوجود الله تعالى، وبيان حقيقة توحيد المعرفة والإثبات ولوازمه، وحقيقة توحيد القصد والطلب ولوازمه، وما يُناقض ذلك، وإكساب الطَّالب المهارات اللازمة في الردِّ على المخالفين.

أسألُ الله أن ينفعَ به، إنَّه جوادٌ كريمٌ.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

موضوعات المقرَّر

الموضوع الأوَّل: مبادئ علم العقيدة

من مفرداته:

١-معنى العقيدة، وأهمّيتها، وخصائصها.

٢-معنى علم العقيدة، وموضوعه، وأسماؤه، وأهم الكتب المؤلفة فيه.

٣-المراد بمفهوم أهل السنة والجماعة، ومصادر التلقي عندهم، ومنهجهم في الاستدلال.

٤-المقارنة بين مصادر التلقي عند أهل السنة، ومصادر غيرهم من المخالفين.

٥-مناقشة دعوى تقديم العقل على النقل.

٦-مناقشة دعوى عدم الاستدلال بأخبار الآحاد في العقيدة.

الموضوع الثاني: توحيد المعرفة والإثبات، ولوازمه

من مفرداته:

١-معنى أدلة وجود الله عز وجل.

٢-مناقشة دعاوى المنكرين لوجود الله عز وجل.

٣-معنى توحيد المعرفة والإثبات، وأنواعه.

٤-تعريف توحيد الربوبيَّة، وأدلته، ومنهج القرآن في بيانه.

٥-معنى الشرك في الربوبية، وأهم مظاهره.

٦-صور الإلحاد المعاصرة، ودحض شبهها.

٧-تعريف توحيد الأسماء والصفات.

٨-أنواع الأدلة على توحيد الأسماء والصفات.

٩-قواعد أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى.

١٠-قواعد أهل السنة والجماعة في صفات الله عزَّ وجلَّ.

١١-استعراض بعض أسماء الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة، ومعنى إحصائها.

١٢-آراء المخالفين لأهل السنة في باب الأسماء والصفات، والرد عليها.

١٣-دراسة بعض صفات الله التي وردت بها النصوص الشرعية، من حيث معناها، ونوعها، وأدلتها، وآثار الإيمان بها.

١٤-دراسة بعض صفات الله التي وردت بها النصوص الشرعية، من حيث موقف المخالفين منها، والرد عليهم إجمالا.

مصادر ومراجع المقرَّر

الكتب المقرَّرة المطلوبة

١-شروح كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبدالوهاب (مثل: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله. والقول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عثيمين).

٢-القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى للشيخ ابن عثيمين.

يضاف إلى هذه الكتب بعض الكتب التي تغطي بعض المفردات، مثل:

١-القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد . تأليف أ. د . عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

٢-معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها وإبطال الإلحاد فيها. تأليف: أ.د. محمد أبو سيف الجهني.

٣-جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير توحيد الربوبية ورد القوادح فيه. د. عادل بن حجي العامري.

٤-معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. للشيخ حافظ حكمي

٥-موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة. تأليف مجموعة من الأكاديميِّين والباحثين المختصين في جامعات العالم.

الموضوع الأوَّل: مبادئ علم العقيدة

من مفرداته:

١-معنى العقيدة، وأهمّيتها، وخصائصها.

٢-معنى علم العقيدة، وموضوعه، وأسماؤه، وأهم الكتب المؤلفة فيه.

٣-المراد بمفهوم أهل السنة والجماعة، ومصادر التلقي عندهم، ومنهجهم في الاستدلال.

٤-المقارنة بين مصادر التلقي عند أهل السنة، ومصادر غيرهم من المخالفين.

٥-مناقشة دعوى تقديم العقل على النقل.

٦-مناقشة دعوى عدم الاستدلال بأخبار الآحاد في العقيدة.

أوَّلاً- معنى العقيدة، وأهمِّيتُها، وخصائصُها

(١)- معنى العقيدة

لبيان معنى العقيدة، لا بُدَّ من وقفتين:

الوقفة الأولى: مع معنى العقيدة لغةً:

مادة «عَقَدَ» تدور بين عدَّة معانٍ، منها: الرَّبطُ والشَّدُّ، والعَهْدُ، والمُلازمةُ، والتَّأكيدُ[١].

١- الرَّبطُ والشدُّ بقوّةٍ. يُقال: عَقَدَ الحبلَ، يَعقِدُهُ عَقْدًا، إذا ربطه وشدَّه بقوَّةٍ.

٢- العَهْدُ. يُقال: بين هذه القبيلةِ وتلكَ عَقدٌ: أي عهدٌ. وجمعه عُقُود. ومنه قولُ اللهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[المائدة:١]؛ أي أوفوا بالعهود التي أكّدتموها.

٣- الملازمة. يُقال: عَقَدَ قلبَه على الشيءِ، أو عَقَدَ قلبُه الشيءَ، إذا لزمه. ومن هذا الباب قولُ رسولِ الله ﷺ: «الخَيْلُ مَعقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٢]؛ فمعقودٌ في نواصيها: أي ملازمٌ لها، حتى لكأنَّه عُقِدَ عليها.

٤- التَّأكيد. يُقال: عَقَدَ البيعَ، إذا أكَّدَه. ومنه العَقْدُ المكتوبُ في البيع؛ إذ هو لم يُكتب إلاَّ بعد إيقاع البيع وتأكيده.

الوقفة الثانية: في بيان معنى العقيدة اصطلاحًا:

بعد أن عرفنا بعضَ معاني العقيدة في اللغة، لنا أن نتساءل: ما هو معنى العقيدة الَّذي تعارف عليه أهلُ العلم؛ إذ مِن المعلوم أنَّ لكلِّ علمٍ مصطلحاته الخاصَّة به، والتي تُعدّ جُزءًا من منهجيَّته؟

فنُجيب: العقيدة اصطلاحًا هي:

١- التَّصديقُ الجازم فيما يجب لله ﷻ من الوحدانيَّة، والربوبيَّة، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا[٣].

---

(١) انظر من كتب اللغة: الصحاح للجوهري (٢/٥١٠). والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ص ٣٨٣). وأساس البلاغة للزمخشري (٢/١٣١-١٣٢). والكشاف له (١/٤٦٦). ولسان العرب لابن منظور (٣/٢٩٥-٣٠٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٣) انظر الأسئلة والأجوبة في العقيدة، للشيخ صالح الأطرم (ص ٧)

٢- تصميم القلب، والاعتقاد الجازم الَّذي لا يُخالطه شكٌّ؛ في المطالب الإلهيَّة، والنبوَّات، وأمور المعاد، وغيرها مِمَّا يجبُ الإيمانُ به[١]. والمطالب الإلهيَّة: الإيمان بالله؛ في ربوبيّته، وألوهيّته، وأسمائه وصفاته.

٣- ما عَقَدَ الإنسانُ قلبَه عليه؛ من أُمور الدِّينِ، ودانَ لله ﷻ به[٢].

س: ما هو الرَّابط بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحيّ؟

ج: الارتباطُ بينهما ظاهرٌ؛ لأنَّ هذا الذي جَزَمَ بالشَّيء، وصمَّم عليه، قد ألزَمه قلبَه، ورَبَطَه عليه، وشدَّه بقوةٍ، بحيث لا يتفلَّت منه أبدًا.

(٢)-أهميَّة العقيدة

يُطلق على «العقيدة»، أو «التَّوحيد» اسمُ: «أصول الدِّين»؛ لأنَّها القواعدُ والأسسُ الَّتي تصحُّ بها العبادةُ، وتتحقَّقُ بها طاعةُ الله ورسوله؛ بامتثال المأمور، واجتناب المحظور؛ إذ الاعتقادُ هو الأصلُ الَّذي ينبني عليه قبولُ الأعمال وصحَّتُها. فأصولُ الدِّين: هي ما يَقومُ ويَنبني عليه الدِّينُ. والدِّينُ الإسلاميُّ يقومُ على عقيدة التوحيد. لذا سُمِّي علمُ التَّوحيد أو علمُ العقيدة بـ(علم أصول الدِّين).

فلا مدخَلَ إلى هذا الدِّينِ إلا من باب التَّوحيد. ومَنْ أراد أن يدخُلَ الدِّين، فلَنْ يجدَ بابًا ينفُذُ منهُ سوى باب التوحيد؛ فلو دَخَلَ أحدٌ مِنْ غير هذا البابِ، فإنَّه ينفُذُ إلى دينٍ آخرَ غيرِ دينِ الإسلامِ.

لذا وَجَبَ على الدُّعاةِ أن يُرشدوا النَّاسَ إلى الولوج في الإسلام من بابِهِ الوحيد، الَّذي لم يَشرع اللهُ الدُّخولَ إليه إلا منه؛ وهو بابُ التوحيد؛ فمَن دَخَلَ مِن غيرِهِ، وظَنَّ أنَّه دَخَلَ الإسلامَ، فليُبادر إلى الخروج، وليُوَلِّ وَجهَهُ شَطرَ بابِ التوحيدِ.

وقد اعتبرَ الإسلامُ عَمَلَ الدَّاخل من غير باب التوحيد شركًا، فأبطَلَهُ جميعَهُ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ولو مات الفاعلُ

---

(١) انظر العقيدة الإسلاميَّة وتاريخها، للدكتور محمد أمان الجامي (ص ٥).

(٢) انظر الأسئلة والأجوبة الأصوليَّة، للسَّلمان (ص ٢٣).

مُصِرًّا على شِرْكِهِ، لَحُرِمَ الجنَّة، وصَارَ إلى النَّار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. أخرج الإمامُ مسلمٌ في الصحيح، عن جَابِرٍ، قالَ أتَى النَّبيَّ ﷺ رجُلٌ، فَقالَ: يا رسُولَ الله! ما المُوجِبتَانِ؟ فَقالَ: « مَن مَاتَ لا يُشرِكُ باللَّهِ شَيئًا دخَلَ الجَنَّةَ، ومَن مَاتَ يُشرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخلَ النَّارَ »[(١)].

والتَّوحيدُ هو الغايةُ مِنْ خَلْق آدمَ عليه السلام وذريَّته، بل إنَّ الغايةَ من خَلْق النَّاس جميعًا، ومِنْ خَلْقِ الجنِّ أيضًا هي توحيدُ الله ﷻ، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات:٥٦].

والتَّوحيدُ هو أوَّلُ دعوة الرُّسل[(٢)] عليهم الصَّلاة والسَّلام.

ولذلك كان أوَّلَ ما دعا الرُّسُلُ جميعًا أقوامَهم إليه: توحيدُ الله ﷻ. وقد أجملَ اللهُ تعالى ذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وفي قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والتَّوحيدُ هو الفارقُ بين الموحِّدين والمشركين، وعليه يقع الثوابُ أو العقابُ في الدَّارَين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فالتوحيد ضدُّ الشرك، فإذا قام العبدُ بالتَّوحيد الذي هو حقُّ الله؛ فَعَبَدَهُ، لا يُشرك به شيئًا، كان موحِّدًا»[(٣)].

وهذا التَّوحيدُ هو الذي أُمِرَ رسولُ الله ﷺ أن يُقاتِل الكفَّارَ عليه[(٤)]؛ يقول ﷺ: « أُمِرتُ أن أُقاتِلَ النَّاس حتَّى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ، ويؤمِنُوا بي وبما جِئتُ به. فإذا فَعَلُوا ذلك، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهم وأموالَهم إلا بِحَقِّها وحِسابُهُم على الله»[(٥)].

والكلامُ عن أهميَّة التَّوحيد يطول، ولا تكفي في بيانِهِ مجلَّدات.

ولعلَّ هذه العُجالة قد ألقَتْ بعضَ الضوءِ على ذلك.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان (ح ٢٧٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/٤٤٣). وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العزّ (١/٢١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/٥٢-٥٣).

(٤) انظر المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٢/١١-١٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتّى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٣) - خصائص العقيدة الإسلاميَّة

التعريف بـ«خصائص»:

الخصائص جمع خِصِّيصة. يُقال: خصَّهُ بالشيء خَصًّا وخُصُوصًا وخَصُوصِيَّة، وخِصِّيصَى. واختصَّه بكذا؛ أي خصَّه به، فاختصَّ، وتَخَصَّص، أي تفرَّد[١].

والخِصِّيصةُ: هي الصِّفةُ البارزةُ المميّزةُ. فإذا قلنا: خصائص العقيدة، فمرادنا: صفاتها البارزة الَّتي تنفردُ بها، وتُميِّزُها عن بقية العقائد.

وللعقيدة الإسلامية سماتٌ بارزةٌ تُميِّزها عن بقية العقائد، سأقتصر على ذكر بعضها.

وبيان هذه الخصائص، يُمكن في الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: أنَّها توقيفيَّة.

الوقفة الثانية: أنَّها غيبيَّة.

الوقفة الثالثة: التَّكامل والشمول.

الوقفة الرابعة: أنَّها وسطيَّة.

الوقفة الأولى: من خصائص العقيدة الإسلاميَّة: أنَّها توقيفيَّة

معنى التَّوقيف في اللغة: التَّوقيف لغةً مأخوذة من الوَقف. يُقال: وَقَفَ الدار، إذا حَبَسَها. والتَّوقيف في الحَجِّ: وقوفُ النَّاس في المواقف. ومَوقِف الرجل: وقوفه في أيِّ مكانٍ حيث كان[٢].

المراد من كون العقيدة الإسلاميَّة توقيفيَّة:

المرادُ من كون العقيدة توقيفيَّة: أنَّ رسول الله ﷺ قد أوقف أُمَّته على مباحث العقيدة، فلم يترك لهم شيئًا إلا بيَّنه[٣]. فيجب على الأمَّة أن تقف عند الحدودِ الَّتي حدَّها وبيَّنها[٤].

ما الذي يلزم من كون العقيدة توقيفيَّة:

لقد بيَّن رسولُ الله ﷺ العقيدةَ بالقرآن والسنَّة، فما ترك منها شيئًا إلا بيَّنه. ويلزم من هذا:

١ - أن نُحدِّد مصادرَ العقيدة، بأنَّها الكتاب والسنَّة فقط.

٢ - أن نلتزم بما جاء في الكتاب والسنَّة فقط.

---

(١) انظر: الصحاح، للجوهري (١٠٣٧/٣). والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ٧٩٦).

(٢) انظر انظر: الصحاح، للجوهري (١٤٤٥/٤). والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ١١١٢-١١١٣).

(٣) انظر المدخل لدراسة العقيدة، للبريكان (ص ٦٢).

(٤) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، لعثمان جمعة ضميريَّة (ص ٣٨٣).

فليس لأحدٍ أن يُحدِثَ أمرًا من أمور الدين، زاعمًا أنَّ هذا الأمر يجب التزامه أو اعتقاده؛ فإنَّ الله ﷻ أكملَ الدِّين، وانقطع الوحي، وخُتِمَتِ النُّبوَّة، يقول تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣]، ويقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ »[(١)]. وهذا الحديثُ قاعدةٌ من قواعد الدِّين، وأصلٌ من أصول العقيدة.

٣- أن نلتزم بألفاظ العقيدة الواردة في الكتاب والسنَّة، ونتجنَّب الألفاظ المحدَثة التي أحدثها المبتدعةُ؛ إذ العقيدة توقيفيَّة، فهي ممَّا لا يعلمه إلا الله.

الوقفة الثانية: من خصائص العقيدة الإسلاميَّة: أنَّها غيبيَّة

معنى الغيب في اللغة: الغيبُ لغةً: من غابَ غَيْبًا، وغَيْبَةً، وغَيْبُوبَةً، وغِيابًا، خلاف شَهِدَ وَحَضَرَ. يُقال: غابتِ الشَّمسُ، إذا غَرَبَت واستَتَرَت عن العين. والغَيبُ: كلُّ ما غاب عنك، وهو خلافُ الشهادة[(٢)].

المراد من كون العقيدة الإسلاميَّة غيبيَّة:

١- أنَّها تبحث في قضايا غيبيَّة، لا مجالَ للعقل في إدراكها، ومبناها على التَّسليم والتَّصديق المطلق بما جاء عن الله ﷻ، وعن رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا. (بعض قضايا العقيدة غيبٌ).

٢- أنَّ أهلَها يقفون في أمرها على ما جاء عن اللهِ ﷻ، وعن رسوله ﷺ، فهم يؤمنون بالغيب. وقد وصفهم الله ﷻ بذلك في أوَّل سورة البقرة، فقالَ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة:١-٣].

ما الذي يلزم من كون العقيدة الإسلاميَّة غيبيَّة:

لمَّا كانت أغلبُ قضايا العقيدةِ غيبًا بالنِّسبة لنا، لزمنا نحنُ المؤمنين بالغيب:

١-أن نُسَلِّم لله، ولرسوله ﷺ. والتَّسليمُ لله ولرسوله يتمثَّل في التَّسليم بما في الكتاب والسنَّة.

٢- أن لا نخوضَ ولا نُجادل في العقيدة ونصوصها -لأنَّها غيبٌ- إلا بقدر البيان، وإقامة الحجَّة، مع التزام منهج السلف في ذلك[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود.

(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ١٥٥). والمعجم الوسيط، لجماعة من المؤلِّفين (ص ١٦٧).

(٣) انظر: الشرح والإبانة، لابن بطة العكبري (ص ١٢٣-١٢٧). والشريعة، للآجريّ (ص ٥٤-٦٧).

٣- أن لا نُؤوِّل نصوص العقيدة، ولا نصرفها عن ظاهرها بغير دليلٍ شرعيٍّ ثابتٍ عن المعصوم ﷺ.

الوقفة الثالثة: من خصائص العقيدة الإسلاميَّة: أنَّها شموليَّة

معنى الشمول في اللغة: يُقال: شَمِلَ الأمرُ القومَ شَمْلًا، إذا شَمَلَهُم. واشتَمَلَ بالثوبِ، إذا أداره على جسده كلِّه، حتّى لا تخرج منه يده. واشتَمَلَ على كذا، أي احتواه وتضمَّنه[١].

المراد من كون العقيدة شموليَّة:

أنَّها لم تترك صغيرةً ولا كبيرةً إلا أتت بإيضاحها، ووضعت لها نظامًا بأروع إحكام، وأتقن بيان؛ فقد أحاطت وهيمنت على الأعمال، والأقوال، والسُّلوك، وكلِّ أمور الحياة.

ولا يتمُّ إيمانُ العبد إلا عندما يُخضع كُلَّ أمور حياته لهذا الدِّين.

مظاهر شموليَّة العقيدة[٢]:

لم تُغفل العقيدة الإسلاميَّة أمرًا من أمور الدين والدنيا إلا أتت عليه بالبيان والإيضاح التامَّين؛ فاللهُ ﷻ ما فرَّط في الكتاب من شيء، ورسولُهُ ﷺ بيَّن لأمَّته جميعَ ما يحتاجون إليه.

ومن مظاهر هذه الشموليَّة:

١- أنَّها أعطت الإنسان تصوُّرًا كاملًا عن الكون الَّذي يحيا فيه.

٢- أنَّها تناولت كلَّ القضايا الَّتي بها تستقيم حياة الإنسان.

٣- أنَّها أحاطت بالإنسان كلِّه؛ من حين ولادته، حتى وفاته. بل قبل ولادته، وبعد وفاته؛ قبل أن يتزوَّج أبوه أمَّه، وحتَّى يستقرَّ في الجنَّة، أو يدخل النَّار -عياذًا بالله-.

الوقفة الرابعة: من خصائص العقيدة الإسلاميَّة: أنَّها وسطيَّة

معنى الوسط في اللغة:

يأتي الوسط لغةً لعدَّة معان:

١- ما كان بين طَرَفَي الشيء، وهو منه. كقولك: كسرتُ وَسط الرّمح، جلستُ وسط الدّار، جئتُ وسط النّهار، و« وسط المرعى خيرٌ مِنْ طَرَفَيه »[٣]. ومنه قول سَوَّار بن المُضَرَّب:

---

(١) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ١٣١٩). والمعجم الوسيط، لجماعة من المؤلفين (ص ٤٩٤-٤٩٥).

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب: المدخل لدراسة العقيدة الإسلاميّة، للدكتور إبراهيم البريكان (ص ٦٩-٧٢).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٥/٢١٠). ولسان العرب، لابن منظور (٧/٤٢٦-٤٢٨).

إنِّي كأنِّي أرى مَن لا حياءَ له ... ولا أمانةَ وسطَ النَّاس عُريانا

٢- يأتي صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود. فأوسطُ الشيء: أفضلُه وخيارُه. قالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة: ١٤٣]. والفردوسُ أفضلُ الجنَّة، وهو أعلاها، ووسطُها. ومرعى وسط: أي خيار. ومنه قالت العرب: « وسط المرعى خيرٌ من طرفيه ». وواسطةُ القلادة: هي الجوهرة التي تكون في وسطها، وهي أجودها[١].

٣- ويأتي وسط بمعنى عَدل. وهو من معاني قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فالوسطُ مِن كُلّ شيء: أعدله[٢].

والملاحظ على الوسط أنَّه في كلِّ معانيه اللغويَّة لا يخرج عن العَدْل، والفَضْل، والخيريَّة.

المراد من كون العقيدة وسطيَّة:

يُراد من قولنا عن العقيدة: إنَّها وسطيّة: أنَّها:

١- أفضل العقائد، وخيارها.

٢- أعدل العقائد.

٣- لا إفراطَ ولا تفريطَ فيها.

من مظاهروسطيَّة العقيدة الإسلاميَّة:

لا يستطيع الإنسانُ أن يتحدَّث في صفحات محدودة، بل ولا مجلَّدات عن مظاهر وسطيَّة العقيدة الإسلاميَّة؛ لأنَّ ذلك أكثر من أن يُحصر؛ فالأمَّة الإسلاميَّةُ هي خيرُ أمَّة أُخرجت للنَّاس، ورسولُهَا ﷺ أفضلُ رسول، وكتابها القرآن الكريم أفضلُ الكتب، وآخرُها، والمهيمنُ عليها. فهي خيارٌ في خيار.

وسأتحدَّث عن مظاهر وسطيَّة عقيدة هذه الأمَّة الوسط في النُّقطتين الآتيتين:

النُّقطة الأولى: وسطيَّة أُمَّة الإسلام بين الأمم الأخرى:

بدت وسطيَّة أمَّة الإسلام بين الأمم الأخرى في الأمور التالية:

١- في توحيد الله ﷻ، وصفاته: فهي وسطٌ بين اليهود والنَّصارى؛

---

(١) انظر: الصحاح، للجوهري (١١٦٧/٣).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٢٠٩/٥). وتاج العروس، للزبيدي (٢٣٨/٥).

بين اليهود الَّذين وصفوا الرَّبَّ ﷻ بصفات النَّقص الَّتي يختصُّ بها المخلوق، وشبَّهوه به؛ فقالوا: إنَّه بخيلٌ، وفقيرٌ، وأنَّه يتعبُ فيستريح، وأنَّه يتمثَّل في صورة البشر، وغير ذلك.

وبين النَّصارى الَّذين وصفوا المخلوقَ بصفات الخالق ﷻ؛ فشبَّهوه به، وقالوا: إنَّ الله هو المسيحُ ابنُ مريم، وإنَّه يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، ويُثيب، ويُعاقب... إلخ[١].

وبينهما ظهرت وسطيَّة المسلمين الَّذين وحَّدوا الله ﷻ؛ فوصفوه بصفات الكمال، ونزَّهوه عن جميع صفات النقص، وعن مماثلته لشيءٍ من المخلوقات في شيءٍ من الصِّفات، وقالوا: إنَّ الله ليس كمثله شيءٌ؛ في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله[٢].

٢- في أنبياء الله ﷻ، ورسله: فهي وسطٌ أيضًا بين اليهود والنصارى:

بين اليهود الَّذين قتلوا الأنبياء، ورمَوهم بكلِّ شين ونقيصة، وجفوهم، واستكبروا عن اتِّباعهم. وبين النَّصارى الذين غَلَوا في بعضهم، فاتَّخذوهم أربابًا من دون الله، واتَّخذوا المسيحَ عليه السلام إلهًا[٣].

وبينهما ظهرت وسطيَّةُ المسلمين، الَّذين أنزلوا الأنبياءَ منازلهم، وعزَّروهم، ووقَّروهم، وصدَّقوهم، وأحبُّوهم، وآمنوا بهم جميعًا؛ عبيدًا لله ﷻ، ورسلًا مبشِّرين ومنذرين. ولم يعبدوهم، أو يتَّخذوهم أربابًا من دون الله؛ فهم لا يملكون ضرًّا ولا نفعًا، ولا يعلمونَ الغيب[٤].

٣- في الشرائع: فهي وسطٌ أيضًا بين اليهود والنَّصارى:

فاليهودُ مَنَعُوا أن يبعث الخالقُ ﷻ رسولًا بغير شريعة موسى عليه السلام، وقالوا: لا يجوز أن ينسخ اللهُ ما شرعه، أو يمحو ما يشاء، أو يُثبت ما يشاء.

والنَّصارى جوَّزوا لأحبارهم ورهبانهم أن يُغيِّروا دينَ الله؛ فيُحلُّوا ما حرَّمَ اللهُ ﷻ، ويُحرِّموا ما أحلَّ اللهُ ﷻ.

أمَّا المسلمونَ، فقالوا: لله الخلقُ والأمر؛ يمحو ما يشاء، ويُثبتُ ما يشاء، والنَّسخ جائزٌ في حياةِ الرَّسُولِ ﷺ، أمَّا بعدَ وفاته ﷺ، فليس لمخلوقٍ أن يُبدِّل أمرَ الخالقِ ﷻ مهما بلغت منزلته.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب: وسطية أهل السنَّة، للدكتور محمد باكريم (ص ٢٣٨، ٢٤٤-٢٤٩، ٢٥٧).

(٢) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١٦٨/٥-١٦٩).

(٣) انظر تفصيل ذلك في كتاب: وسطية أهل السنَّة، للدكتور محمد باكريم (ص ٢٣٨، ٢٦٠، ٢٧٧).

(٤) انظر المرجع نفسه (ص٢٣٨، ٢٧٧، ٢٨٤). وانظر في معنى التَّعزير: الصَّارم المسلول، لابن تيمية (ص٤٢٢).

٤- في أمر الحلال والحرام، فهي وسطٌ أيضًا بين اليهود والنَّصارى:

فاليهودُ حُرِّم عليهم الكثيرُ مِن الطيِّبات، منها[١]:

أ- ما حرَّمه إسرائيلُ؛ يعقوب عليه السلام على نفسه، كما حكى تعالى ذلك عنه بقوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾[آل عمران: ٩٣].

ب- ما حرَّمه اللهُ ﷻ عليهم جزاءَ بغيهم وظلمهم، كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾[النساء: ١٦٠].

والنَّصارى أسرفوا في إباحة المحرَّمات؛ فأحلُّوا ما نصَّت التَّوراة على تحريمه، ولم يأتِ المسيحُ عليه السلام بإباحته؛ فاستحلُّوا الخبائث، وجميع المحرَّمات؛ كالميتة، والدَّم، ولحم الخنزير[٢].

أمَّا المسلمون: فقد أحلُّوا ما أحلَّ اللهُ ﷻ لهم في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من الطيِّبات، وحرَّموا ما حُرِّم عليهم من الخبائث؛ كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[الأعراف:١٥٧].

٥- في العبادة، فهي وسطٌ بين اليهود والنصارى أيضًا؛

فاليهودُ علموا، ولم يعملوا. فهم المغضوبُ عليهم؛ أعرضوا عن العبادات، واستكبروا عن طاعة الله، واتَّبعوا الشهوات، وعبَّدوا أنفسَهم للمادَّة، فاشتغلوا بدنياهم عن دينهم وآخرتهم[٣].

والنَّصارى لم يعلموا، وعَبَدُوا اللهَ على جهالة. فهم الضالُّون؛ غَلَوا في الرَّهبنة، وتعبَّدوا ببدعٍ ما أنزل اللهُ بها من سُلطان؛ فاعتزلوا النَّاس في الصوامع، وانقطع رهبانُهم للعبادة في الأديرة، وألزموا أنفسهم بما لم يُلزمهم به الله، ممَّا يشقُّ على النَّفس والجسد، ويُغالب الفطرة البشريَّة ويُضادّها، فلم يستطيعوا الوفاء بذلك، كما حكى اللهُ عنهم ذلك بقوله: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾[الحديد: ٢٧].

---

(١) انظر: وسطية أهل السنَّة، للدكتور محمد باكريم (ص ٢٤٠).

(٢) انظر كتاب الصفديَّة، لابن تيمية (٢/٣١٣).

(٣) انظر وسطية أهل السنَّة، للدكتور محمد باكريم (ص ٢٤٠).

أمَّا الأمَّةُ الوسط: فقد علموا، وعملوا. فهم الَّذين أنعمَ اللهُ عليهم؛ عبدوا الله وحدَه بما شرع، لم يعبدوه بالأهواء والبدع[١]، ولم يَنْسوا نصيبهم وحظوظهم في الدنيا[٢]. وقدوتهم في ذلك كُلِّه نبيُّهم ورسولُهم محمدٌ ﷺ.

النُّقطة الثانية: وسطيَّة أهل السنَّة والجماعة بين الفرق الضالَّة:

تقدَّم الحديثُ عن جوانب من وسطيَّة أمَّة الإسلام بين الأمم.

ولقد كان أسعدُ هذه الأمَّة بهذه الخيريَّة، أسعدَها باتِّباع الكتاب والسنَّة، وأحرَصها على هديها؛ قولًا وعملًا واعتقادًا، وهم أصحابُ رسول الله ﷺ، ثمّ تابعوهم، ثمّ التَّابعون لهم بإحسان؛ من القرون الثلاثة المفضَّلة، الَّتي شَهِدَ لها رسولُ الله ﷺ بالخيريَّة في قوله: «خيرُ النَّاس قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم»[٣]. فهؤلاء هم خيارُ أُمَّة محمد ﷺ، ثمَّ يلحقُ بهم مَنْ كان على مثل ما كانوا عليه؛ من الهدى، والتمسُّك بالكتاب والسنَّة، في كلِّ زمان ومكان، ممَّن أخبر عنهم الرسولُ ﷺ في حديث الافتراق بأنَّهم الفرقة الناجية، وأنَّهم الجماعة[٤]. وهؤلاء -أعني المتمسكين بالكتاب والسنَّة، والمتَّبعين لمنهج الصحابة وسلف الأمَّة- أصبحوا في هذه الأمَّة كهذه الأمَّة بالنسبة للأمم؛ فهم وسطٌ بين فرق هذه الأمَّة، كما كانت هذه الأمَّةُ وسطًا بين سائر الأمم. وكلُّ دارسٍ متفحِّص لأقوال الفرق في مسائل العقيدة وأصول الدين، يُدرك أنَّ أهل السنَّة والجماعة وسطٌ بين الفرق في ذلك. ومن مظاهر هذه الوسطيَّة:

١- في أسماء الله وصفاته: فهم وسطٌ بين أهل النَّفي والتَّعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل؛ فأهل السنَّة والجماعة يُؤمنون بكلِّ ما وَصَفَ اللهُ به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ، وبجميع أسمائه الحسنى من غير تحريفٍ لمعناها، ولا نفيٍ لها أو تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل. فهم

---

(١) انظر الوسطية في الإسلام - تعريفٌ وتطبيقٌ - للدكتور زيد الزيد (ص ٤٦-٥١).

(٢) فصاموا وأفطروا، وقاموا بالليل وناموا، وتزوَّجوا النساء، وقدوتهم في ذلك رسولهم ﷺ. انظر: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح. وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب شرح السنَّة. وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم. وابن أبي عاصم في السنة (١/٣٢-٣٣)، تحت الأرقام (٦٣- ٦٤- ٦٥). وقال الألبانيُّ في تعليقه على الحديث: « والحديث صحيح قطعًا؛ لأنَّ له ستّ طرق أخرى عن أنس، وشواهد عن جمع من الصحابة » (١/٤٢).

يُثبتون جميعَ الأسماء والصِّفات، مع تحقيقها لله ﷻ، وتنزيهه سبحانه عن مماثلة مخلوقاته، تصديقًا بخبرِهِ ﷻ عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. وهم وسطٌ في ذلك بين أهل التَّحريف والتَّعطيل وأهل التَّشبيه والتَّمثيل.

فأهلُ التَّعطيل الَّذين أنكروا ما يجب لله ﷻ من الأسماء والصفات، أو أنكروا بعضه؛ فهم نوعان؛ أهل تعطيلٍ كُلِّيٍّ؛ كالجهميَّة والمعتزلة؛ وأهل تعطيلٍ جزئيّ؛ كالأشعريَّة والماتريديَّة[١].

وأهلُ التَّشبيه الَّذين شبَّهوا الله بخلقه، وجعلوا صفاته من جنس صفات مخلوقاته؛ كما فعل الكرَّاميَّة، والهشاميَّة -أتباع هشام بن الحكم الرافضيّ-، والهشاميَّة الأخرى -أتباع هشام بن سالم الجواليقيّ-، وكصنيع داود الجواربيّ، ومن نحا نحوه[٢].

٢- في باب القدر، فهم وسطٌ بين الجبريَّة والقدريَّة؛

فأهلُ السُّنَّة والجماعة يُؤمنون بأنَّ الله قدَّر الأشياء في الأزل، وعَلِمَ أنَّها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصة، فهي تَقَعُ وِفْقَ ما قدَّره الله ﷻ[٣]. وهم بذلك يُؤمنون برُكنٍ من أركان الإيمان، أشار إليه الصَّادقُ المصدوقُ ﷺ بقوله: « وتُؤمنَ بالقَدَرِ خيره وشرِّه »[٤].

ولا يُعدُّ المرءُ مؤمنًا بالقدر حتَّى يُؤمن بمراتبه الأربع، الَّتي هي بمثابة الأركان فيه، وهي: علمُ الله بالأشياء قبل كونها، وكتابةُ كُلِّ ما هو كائن قبل أن يكون، ومشيئةُ الله للأشياء قبل وقوعها، وخلقُهُ ﷻ للأشياء وإيجادها. فهذه أركانٌ أربعةٌ تَشهدُ لها نصوصُ الكتاب والسنَّة[٥].

أمَّا المنحرفون عن الكتاب والسنَّة في هذا الباب، فقد أفرطوا وفرَّطوا؛ فالقدريَّةُ -ويُمثِّلهم المعتزلة- جَفَوا في إثبات القدر؛ فنفوا قدرةَ الله ﷻ وخلقه لأفعال عباده، وقالوا: إنَّ الله لا يقدر على عين مفعول العباد. وعليه فأفعالُ العباد -عندهم- ليست مخلوقةً لله، وإنَّما العبدُ هو الَّذي

---

(١) انظر: فتح ربّ البرية بتلخيص الحموية، للشيخ ابن عثيمين (ص ١٨-١٩). والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور صالح الفوزان (ص ١٥٧).

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور صالح الفوزان (ص ١٥٦-١٥٧).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٥) من الكتب التي فصَّلت في ذلك: أعلام السنة المنشورة، لحافظ حكمي (ص ١٢٤-١٤١). ووسطيَّة أهل السنة بين الفرق، لمحمد باكريم (ص٣٦٣-٣٦٦).

يخلقُ فعله[١]، فأنكروا خَلقَ الله ﷻ لأفعال عباده، وهي المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر. والجبريَّة -ومنهم الجهميَّة- غَلَوا في إثبات القدر، ونفَوا مسؤوليَّة العبد عن أفعاله؛ فهو لا يُريد فعلها ولا عدمه، ولا يَقدر عليه، وقالوا: «لا فعلَ لأحدٍ في الحقيقة إلاَّ لله وحده، وأنَّه هو الفاعل، وأنَّ النَّاس إنَّما تُنسب إليهم أفعالهم على المجاز؛ كما يُقال: تحرَّكت الشجرةُ، ودار الفلكُ، وزالت الشَّمسُ. وإنَّما فَعَلَ ذلك بالشجرة والفلك والشمس: اللهُ سبحانه»[٢]، وهو الذي يخلق الأفعال في الإنسان، على حسب ما يخلق في سائر الجمادات[٣]. فأنكروا فعلَ العبد لأفعاله، ونسبوا ذلك إليه ﷻ.

فالقدريةُ نَفَوا القدر، وقالوا: الخلق خلقُ العبد، والجبريَّة غَلَوا في إثبات القدر، حتَّى قالوا: الفعل فعلُ الربّ. وبرزت وسطيَّةُ أهل السنَّة في هذا الباب؛ حين أثبتوا للعبد مسؤوليَّة عن أفعاله، وإرادة تُرجِّح له الفعل، ومشيئة واختيارًا، وقدرة على الأفعال؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الاسراء:٣٦]. والَّذي قامَ بالعبد هو فعلُه، وكسبُه، وحركاتُه، وسكناتُه؛ فهو المصلِّي، القائمُ، القاعدُ حقيقةً. والَّذي قامَ بالله ﷻ هو علمه، وقدرته، ومشيئته، وخلقه؛ كما أخبر ﷻ عن نفسه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]؛ فاللهُ ﷻ كما خلق العباد، يخلق أفعالهم، والعبد فاعلٌ لفعله حقيقةً، وقادرٌ عليه بإقدار الله له، والخَلْقُ خلقُ الله؛ لأنَّ العبادَ خَلقٌ له، وأفعال المخلوقين مخلوقة، ولأنَّ الله خالق كلِّ شيء، ولا يكون في ملكه إلاَّ ما يُريد كونًا وقدرًا[٤]. وأهلُ السنَّة بوسطيّتهم هذه يجمعون بين النصوص، ويؤلِّفون بينها[٥].

٣- في نصوص الوعد والوعيد، فهم وسطٌ بين الوعيديَّة والمرجئة:

«جاء في كتاب الله ﷻ وسنَّة رسوله ﷺ كثيرٌ من الآيات والأحاديث التي تدلُّ على وعد الله ﷻ للمؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل، وأنَّه أعدَّ لهم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، ووعدهم بألوانٍ من الأجر والجزاء، ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك، وتكفير السيِّئات، وإبدالها حسنات،

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، لعبد الجبار الهمذاني (ص٣٢٣). والمغني في أبواب العدل والتوحيد له (٣/٨).

(٢) مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين، لأبي الحسن الأشعري (٣٣٨/١).

(٣) انظر شفاء العليل، لابن القيم (ص ٥١).

(٤) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني (ص ٧٥). وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (٥٣٤/٣). ومنهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٤٥٩/١-٤٦٠، ٢٩٨/٢). وشفاء العليل، لابن القيم (ص ٤٩٣).

(٥) انظر: وسطيَّة أهل السنَّة بين الفرق، للدكتور محمد باكريم (ص ٣٨١-٣٨٣).

ونحو ذلك »[١]. ومن هذه النُّصوص: قوله ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]، وقول رسول الله ﷺ لأبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه: «ما مِن عَبدٍ قال: لا إله إلا الله، ثمَّ ماتَ على ذلك، إلاَّ دَخَلَ الجنَّة»[٢]. وهذه يُقال لها: نصوص الوعد.

وجاء كذلك في الكتاب والسنَّة «آيات وأحاديث كثيرة، تتضمَّن الوعيد الشديد بالعذاب الأليم، والخلود في النَّار لأهل الفسق والمعاصي وأصحاب الكبائر، ووصفهم بالكفر والفسق والضلال ونحو ذلك»[٣]. ومن هذه النُّصوص: قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣]، وقوله ﷺ: «سِبَابُ المسلمِ فُسوقٌ، وقتاله كُفرٌ»[٤]. وهذه تُسمَّى نصوص الوعيد.

والنَّاس قد افترقوا في هذه النصوص إلى طرفين، ووسط.

فالمرجئةُ أخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد، وقالوا: كلّ ذنبٍ سوى الشرك فهو مغفورٌ؛ فالإيمان لا تضرُّ معه معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة[٥]. وإنَّما ضلُّوا في هذا الباب بسبب عبادتهم الله بالرَّجاء وحدَه، وإهمال جانب الخوف.

والوعيديَّة -من الخوارج والمعتزلة- أخذوا بنصوص الوعد والوعيد، وغَلَوا في نصوص الوعيد، وقالوا: لا بُدَّ أن يُنجزَ اللهُ وعده ووعيده، ولا يصحّ أن يُخلف أيًّا منهما[٦].

وسبب ضلالهم في هذا الباب: عبادتهم الله بالخوف وحدَه، وإهمال جانب الرَّجاء.

وأهلُ السنَّة في هذا الباب وسطٌ بين غلاة المرجئة، وبين الوعيديَّة -من الخوارج والمعتزلة-، وهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيد؛ فيجمعون بين الخوف والرَّجاء، ولا يُفرِّطون في نصوص

---

(١) وسطيَّة أهل السنَّة والجماعة بين الفرق، للدكتور محمد باكريم (ص ٣٥٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة.

(٣) وسطيَّة أهل السنَّة والجماعة، للدكتور محمد با كريم (ص ٣٥٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله.

(٥) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق، للدكتور محمد با كريم (ص ٣٥٥).

(٦) انظر: شرح الأصول الخمسة، لعبد الجبار المعتزلي (ص ١٣٥-١٣٦). والموجز، لعبد الكافي الأباضي (٨٦/٢).

الوعيد؛ كالمرجئة الخالصة الَّذين قالوا: لا يَضرُّ مع الإيمان ذنب، ولا يَغلون غُلُوّ الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد، ويقولون في الوعيد: يجوز أن يعفوَ اللهُ عن المذنب، وأن يُخرِج أهل الكبائر من النَّار، فلا يُخلِّد فيها أحدًا من أهل التوحيد[١]، ويقولون في الوعد: إنَّ الله لا يُخلف وعده، فـ« إذا وَعَدَ عبادَه بشيءٍ، كان وقوعُه واجبًا بحكم وعده؛ فإنَّ الصادق في خبره، الذي لا يُخْلِفُ الميعاد »[٢].

الرَّجاء والخوف عند أهل السنَّة والجماعة:

الرَّجاءُ والخوفُ عندَ أهل السنَّة والجماعة من أركان العبادة، وهما متلازمان، كما قال العلامةُ الشيخُ محمَّد الأمين الشنقيطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنهما: «فاعلم أنَّهما متلازمان؛ فمَنْ كان يرجو ما عند الله من الخير، فهو يخاف ما لديه من الشرِّ، كالعكس»[٣]، وعلى تلازمهما دلَّت النُّصوص الشرعيَّة.

والرَّجاءُ والخوفُ عندَ العبد كجناحَي طائر، قد يميل بأحد جناحيه لمصلحةٍ، شريطةَ أن لا يفقد التوازن. وعلماءُ أهل السنَّة والجماعة يقولون: «ينبغي للإنسان وهو في أيام صحته أن يُغلِّب الخوف دائمًا على الرجاء، وأن يكون خوفُه أغلب من رجائه. فإذا حَضَرَهُ الموتُ غلَّب الرجاء في ذلك ليطغى على الخوف، فلا ينبغي للمؤمن أن يموتَ إلا وهو يُحسن الظنَّ بالله جلّ وعلا»[٤]. ولكن ليسَ المرادُ أن ينفردَ أحدُهما في نفس العبد؛ فإنَّ ذلك يكون سببًا في اختلال التَّوازن في حياته.

٤- في باب الأسماء والأحكام، فهم وسطٌ بين الوعيديَّة والمرجئة:

المراد بالأسماء: أسماءُ الدِّين، وهي تلك الألفاظ التي رتَّب اللهُ ﷻ عليها وعدًا ووعيدًا؛ مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق. والمراد بالأحكام: أحكامُ أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة[٥].

والنَّاسُ في أحكام عُصاة المسلمين وأسمائهم، قد انقسموا إلى طرفين -وعيديَّة ومرجئة-، ووسط -أهل السنَّة والجماعة-.

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (١/٤٦٦-٤٦٧).

(٢) المصدر نفسه (١/٤٤٨).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي (٤/٢٠٠).

(٤) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/٥١). وانظر: فتاوى العقيدة، للشيخ ابن عثيمين (ص ٣٠١-٣٠٢).

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٨).